# المبادئ الأساسية في ترجمة القرآن الكريم في ضوء معطيات الترجمة الحديثة

الدكتور أكمل حزيري بن عبد الرحمن
والأستاذ المشارك الدكتور مجدي حاج إبراهيم(*)

**❁ ملخص البحث**

يهدف هذا البحث إلى وضع المبادئ الأساسية التي تفسر نهج عملية ترجمة القرآن الكريم لا سيما في ضوء النتائج الأخيرة لدراسات الترجمة الحديثة، إذ تولدت ثمة آراء وفرضيات ونظريات في الفكر الترجمي الغربي يبدو في ظاهرها أنها لا تتوافق مع منهج ترجمة القرآن الكريم. ولعل الخلاف في الفكر الترجمي بين المسلمين والغرب يكمن في مسألة مساواة الترجمة بأصلها. ففي الوقت الذي يؤكد العلماء المسلمون فيه على أن ترجمات القرآن الكريم ترجمات ثانوية، نجد أن رجالات الكنيسة يؤمنون بضرورة اعتبار الإنجيل المترجم إنجيلاً مقدساً يحمل في جوهره قدسية تتساوى مع قدسية الإنجيل الأصل. ومن هذا المنطلق، تأتي هذه الدراسة لمناقشة مبادئ الفكر الغربي في ترجمة النصوص الدينية من المنظور الإسلامي، من أجل تقويمها، والتعرف على محاسنها وعيوبها، والكشف عن مدى صلاحيتها، وجدارة اعتمادها في ترجمة النصوص الدينية بصورة عامة، وترجمة القرآن الكريم بصورة خاصة.

**❁ توطئة**

لقد قام الدين الإسلامي الحنيف، ولا يزال، على مبدأ التبليغ والدعوة، ويقتضي ذلك وجوب إما تعلم الدعاة المسلمين جميع اللغات الإنسانية الحية، أو تعلم شعوب العالم اللغة

(*) قسم اللغة العربية وآدابها، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

العربية، من أجل تبليغ رسالة الإسلام إلى سائر أرجاء المعمورة. وقد بيّن القرآن الكريم أن الحكمة من وراء تعدد واختلاف لغات البشر وثقافتهم تكمن في دفع الأمم والشعوب نحو الالتقاء والتعارف والاحتكاك، حيث قال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[الحجرات: ١٣]. وقد أكد القرآن الكريم على أن العمل الدعوي يجب أن يتفهم ويدرك حقيقة اختلافات لغات البشر، ويتعامل مع هذا الاختلاف بمرونة وديناميكية، فقال عز وجل: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِۦ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[إبراهيم: ٤].

وقد رأى الزمخشري بصدد هذه الآية أن الوحي كان بإمكانه أن ينزل إما بلغة واحدة أو بجميع لغات البشر، ولكن الله عز وجل اختار الطريقة الأولى لما يمكن أن يترتب على الطريقة الثانية من التكرار، فضلا عن إمكان تبليغ رسالة الوحي من خلال ترجمتها إلى لغة أخرى.(١) وعقّب الحافظ ابن حجر العسقلاني في باب (نزل القرآن الكريم بلسان قريش والعرب) بنقل رأي ابن بطّال الذي رأى أن نزول القرآن الكريم باللغة العربية لا يناقض عالمية الرسالة المحمدية لأنه كان يبلّغ للعرب، وأنهم فيما بعد سيترجمون تلك الرسالة إلى لغات الشعوب الأخرى.(٢)

ولعل السبب وراء عدم ترجمة القرآن الكريم في عهد الرسول ﷺ أن الوحي كان لا يزال ينزل ولم ينقطع بعد، وأن القرآن الكريم لم تكتمل صورته ولم تتضح معالمه، ولم تُفَصَّل آياته بصورة كلية. وعلى الرغم من ذلك، فلم تكن الترجمة في مجال التبليغ والدعوة بدعة في السيرة النبوية، فقد كان الرسول ﷺ يكاتب الملوك بالعربية، ويستشهد في بعض رسائله بالآيات القرآنية، ومن البدهيّ أن تترجم هذه الرسائل، إما من قِبَل حامليها من الصحابة

(١) الزمخشري، أبو القاسم محمود، الكشاف، (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ج٢، بدون تاريخ)، ص٣٦٦-٣٦٧.
(٢) العسقلاني، ابن حجر، فتح الباري، (بيروت : دار المعرفة، ج٩، ١٣٧٩هـ)، ص١٠.

رضوان الله عليهم، أو من العارفين بالعربية في بلاط هؤلاء الملوك.[١] وكان جعفر بن أبي طالب ﷺ يترجم بعض الآيات القرآنية في بلاط النجاشي ملك الحبشة قبل الهجرة إلى المدينة المنورة.[٢] وقد نقل النويري ما روي عن محمد بن عمر المدائني في كتاب **القلم والدواة** بسنده إلى زيد بن ثابت ﷺ حديثاً أمر فيه الرسول ﷺ زيداً بتعلم السريانية لكي يترجم له الرسائل التي تأتيه في تلك اللغة.[٣]

ونظراً إلى أن النبي ﷺ سكت عن أمر ترجمة القرآن الكريم، فقد ذهب بعض علماء المسلمين إلى القول بتحريم ترجمة القرآن الكريم، بينما ذهب فريق آخر إلى القول بضرورة ترجمة القرآن من أجل تبليغ رسالته لمن ليس لهم حظّ من العربية.

وعلى الرغم من ظهور فتاوى تحريم ترجمة القرآن الكريم، فقد قامت جميع الشعوب الإسلامية بلا استثناء بترجمة القرآن الكريم، إلا أن جميع هذه الترجمات ظلت – ولا تزال – في مرتبة دونية، فهي ليس بمقدورها أن تقف بمفردها دون الرجوع إلى القرآن الكريم، ويعني ذلك أن جميع ترجمات القرآن الكريم لا تعْدو أن تكون مجرد أداة لتبليغ رسالة النص القرآني الكريم إلى الناطقين بغير العربية دون أن تسلب القرآن الكريم سلطته ومرجعيته.

ولعل الخلاف في الفكر الترجمي بين المسلمين والغرب يكمن في القول بثانوية ترجمة النصوص الدينية، أي إنها عمل من الدرجة الثانية، ففي الوقت الذي يؤكّد العلماء المسلمون فيه على أن ترجمات القرآن الكريم ترجمات ثانوية، نجد أن رجالات الكنيسة يؤمنون بضرورة اعتبار الإنجيل المترجم إنجيلاً مقدساً يحمل في جوهره قدسية تتساوى مع قدسية الإنجيل

(1) Binark, Ismet & Eren, Halit, **World Bibliography of Translation of the Meaning of the Holy Quran: Printed Translations 1515-1980**, (Istanbul: Research Centre For Islamic History, Art and Culture), p.xxi-xxii.

(٢) الطيباوي، عبد اللطيف، **أحكام ترجمة القرآن الكريم**، مجلة مجمع اللغة العربية، (دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٩٧٩م)، مج٥٤، ص٦٦٠.

(٣) القلقشندي، أبو العباس أحمد، **صبح الأعشى**، (القاهرة: دار الكتب المصرية، ج١، ١٩٢٢م) ص١٦٥.

الأصلي، فقد أشار والس (Walls) إلى أن العقيدة المسيحية تؤمن بأن الترجمة عمل مقدس.[1] كما أعلن مجمع الفاتيكان في عام ١٨٧٠م بأن: «الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد كُتِب بإلهام من الروح القدس، مؤلفه الله، وأعطي هكذا للكنيسة».[2]

ومن هذا المنطلق تأتي هذه الدراسة لوضع المبادئ الأساسية التي تفسّر نهج عملية ترجمة القرآن الكريم لا سيما في ضوء النتائج الأخيرة لدراسات الترجمة الحديثة، إذ تولدت ثمة آراء وفرضيات ونظريات في الفكر الترجمي الغربي يبدو في ظاهرها أنها لا تتوافق مع منهج ترجمة القرآن الكريم، كما تسعى هذه الدراسة أيضاً إلى مناقشة مبادئ الفكر الغربي في ترجمة النصوص الدينية من المنظور الإسلامي، من أجل تقويمها، والتعرف على محاسنها وعيوبها، والكشف عن مدى صلاحيتها، وجدارة اعتمادها في ترجمة النصوص الإسلامية.

وينقسم البحث إلى مبحثين عامّين؛ حيث يناقش المبحث الأول موقف العلماء المسلمين من تخصيص القرآن الكريم بالنظم العربي دون سواه من الترجمات، فضلا عن تقديم المسوغات التي استندوا إليها في تصنيف ترجمات القرآن الكريم باعتبارها تفاسير تهدف للشرح والتوضيح والإبانة وحسب. أما المبحث الثاني فسيلقي الضوء على جملة من آراء ونظريات دراسات الترجمة الحديثة، والمتعلقة بترجمة النصوص الدينية بخاصة، لدراستها وبيان موقف منهجية ترجمة القرآن الكريم منها.

## ❁ المبادئ الأساسية لترجمة القرآن الكريم

تستند فكرة استحالة ترجمة القرآن الكريم لدى العلماء القائلين بالمنع إلى القول باستحالة تحقيق الترجمة المثالية التامة للقرآن الكريم، وهذا يعني أن ترجمة القرآن الكريم يجب ألّا يكون

(1) Walls, Andrew F., **The Translation Principle in Christian History**, in: Bible Translation and the Spread of the Church, Philip C. Stine (ed.), (London: E. J. Brill, 1992), p.24.

(٢) عبد الوهاب، أحمد، **اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية**، (القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٨٧م)، ص٦١.

الغرض منها مضاهاة القرآن الكريم ومنافسته. وعلى صعيد آخر، يُجمع جمهور العلماء المسلمين على ضرورة تبليغ رسالة القرآن الكريم لمن ليس لهم نصيب من العربية، وعلى ضوء ذلك، فإن ثمة معايير وضوابط ومبادئ يجب الالتزام بها عند ترجمة القرآن الكريم لتحقيق التوازن بين الفتاوى التي تقول بتحريم ترجمة القرآن الكريم والفتاوى التي تجيز الترجمة. ومن خلال تتبع الدراسات التي تناولت ترجمة القرآن الكريم، فإنه بالإمكان تحديد بعض المبادئ العامة لسير عملية ترجمة القرآن الكريم، وهي على النحو الآتي:

### ١. انفراد النظم العربي باسم القرآن الكريم

أجمع العلماء المسلمون على أن ترجمات القرآن الكريم لا تحل محل النظم العربي الأصلي، ولا تكون بدائل له نظراً لما يتمتع به القرآن الكريم من مرجعية وسلطة تتمثل في الارتباط الوثيق بين اللغة التي نزل بها الوحي وبين الخلفية الزمنية التي تمثلها، فالخصائص الخطابية للقرآن الكريم من عبارات وتراكيب وأساليب تُعدّ عناصر هامة تعطي الوحي الكريم هويته المتميزة، فقد نزل الوحي على العرب في فترة كانت الفنون اللغوية والبلاغية الشغل الشاغل بالنسبة لهم، فجاء القرآن الكريم لإثبات واقعية الرسالة الإلهية في السياق اللغوي المستخدم حينذاك، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾[النحل: ١٠٣]. وتجلت معجزة القرآن الكريم في تحدي الكفار من العرب أصحاب البلاغة والبيان وجميع الخلق إلى يوم الدين بالإتيان بمثله، فقال سبحانه وتعالى: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾[الإسراء: ٨٨]، كما تعهد الله سبحانه وتعالى بحفظ قرآنه سليماً نقياً خالصاً من أي تحريف أو تحوير أو تغيير، فقال عز وجل: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[الحجر: ٩]. من جانب آخر، حذر الله سبحانه وتعالى كل من تسول نفسه تغيير آيات القرآن الكريم أو العبث بها، فقد توعد الله نبيه المصطفى شخصياً بأنه لو قال شيئا من قبل نفسه ونسبه إلى الله سبحانه وتعالى لنال بذلك أشد العقاب، حيث قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ * لَأَخَذْنَا

مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۞ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ۞ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾[الحاقة: ٤٤-٤٧].

ونستطيع أن نلمح عاملاً آخر لسلطة القرآن الكريم ومرجعيته إلى جانب عامل البعد الإعجازي للنص الأصلي للقرآن، وذلك في القدسية الهائلة التي يتمتع بها القرآن الكريم، فقدسية القرآن الكريم تختلف اختلافاً كبيراً وجذرياً عن قدسية باقي النصوص الدينية الأخرى، فالقرآن الكريم نص تعبُّدي يرجع إليه المسلمون يومياً في صلواتهم وأدعيتهم، ولا تجوز صلاة لا يقرأ فيها بالقرآن. ومما ينبّه على قدسية القرآن الكريم أيضاً أن الرسول ﷺ ربط تلاوة القرآن الكريم بالأجر العظيم والثواب المغري للحض على قرائته المتواصلة، وقد رُوي في حديث للرسول ﷺ: «من قرأ حرفا في كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ﴿الٓمٓ﴾ حرف، ولكن ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف».[1] ويتضاعف هذا الثواب بالنسبة للذين لا يحسنون تلاوة القرآن الكريم، فقد رُوي عن النبي ﷺ: «الذي يقرأ القرآن الكريم ويتتعتع وهو عليه شاق له أجران».[2]

ويقتضي ارتباط القرآن الكريم بالعبادة والأجر والثواب أن تكون المفاضلة والأفضلية دائماً للقرآن الأصلي على حساب جميع الترجمات حتى وإن لم يفهم القارئ غير العربي ما يقرأه، لأنه غير مأجور إلا على ما يقرأه باللغة العربية وحسب.

ويتجلى مما سبق أن ترجمات القرآن الكريم لا تُقرأ إلا لفهم ما يتلى بالعربية، ويقتضي ذلك أن تبقى المرجعية دوماً وأبداً ملكاً للنص القرآني الأصلي. ومما يؤكد ذلك أننا لا نكاد نجد من ترجمات القرآن الكريم المعتمدة ترجمة إلا ومعها النص الأصلي، ويعني ذلك أن مترجمي القرآن الكريم إنما يريدون أن يدعوا القراء مباشرة إلى العودة للقرآن الأصلي بعد قراءة الترجمة. من جانب آخر، نجد أن الترجمة، بحكم تقيّد المترجم فيها بالبعد الزماني والمكاني، تفتح مجالاً واسعاً لظهور ترجمات متباينة ومتفاوتة في الأسلوب واللغة، فمثلا، نجد

(١) حديث عن ابن مسعود ﷺ، رواه الدارمي والترمذي، وقال حديث حسن صحيح.

(٢) حديث متفق عليه عن عائشة رضي الله عنها.

أن عبد الله يوسف علي استخدم في ترجمة القرآن الكريم للإنجليزية الأسلوب الإنجليزي الكلاسيكي الأدبي الراقي، ثم جاء من بعده مترجم آخر من أصل أمريكي، اسمه تي بي أرفينج (T.B. Irving)، وترجم القرآن الكريم بأسلوب حديث؛ لأنه كان يرى أن ترجمة عبدالله يوسف علي لا تتناسب مع طبيعة الشُّبان الأمريكيين الذين يفضلون التبسيط في الأسلوب والتيسير في الفهم.(١)

## ٢. تحريم تبديل القرآن الكريم بآخر في لغة أخرى لا يعني تحريم ترجمته

لا تستقيم حجة انفراد النظم العربي باسم القرآن الكريم دون غيره من الترجمات إلا بالإشارة إلى مبررات هذا الانفراد ومسوغاته، فقد تولَّد من أقوال العلماء المسلمين في دفاعهم عن تميّز النظم العربي وانفراده وتفوقه على ترجماته شيئان: أولهما نظريات الإعجاز القرآني التي اتخذت البلاغة العربية مبدأً لها؛ وثانيهما مبدأ الدفاع عن عربية القرآن الكريم وأصالته من خلال مفهوم (استحالة ترجمة القرآن الكريم). وقد كثر الكلام عن الأول وبات موضوعاً خصباً إلى يومنا هذا على خلاف الثاني الذي لم يتناوله إلا عدد قليل من العلماء المسلمين.

لقد ظهر الاهتمام بقضية الترجمة في التراث العربي الإسلامي في بداية الأمر بشكل غير مباشر عندما تناول العلماء المسلمون مسألة جواز أو منع قراءة القرآن الكريم في الصلاة بلغة غير عربية، ثم تطور هذا الاهتمام عندما ظهر توجّه خاص يهدف إلى الدفاع عن القرآن الكريم، ويتضمن إشارات عابرة تقول باستحالة ترجمة القرآن الكريم.(٢)

ومع مرور الزمن، تحولت قضية إمكان ترجمة القرآن الكريم واستحالتها لتصبح القضية المركزية في الفكر الترجمي لدى العلماء المسلمين، ففي حين ظهرت جدلية إمكان الترجمة واستحالتها في نظريات الترجمة الغربية الحديثة، أولى العلماء المسلمون اهتمامهم بقضية ترجمة القرآن الكريم وحدها، فعلى الرغم من النشاط القوي لحركة الترجمة في العصر الذهبي

(1) Irving, T.B., **The Quran: Translation & Commentary**, (Vermont: Amana Books, 1985), p.xxii.

(٢) انظر: الطيباوي، عبد اللطيف، **أحكام ترجمة القرآن الكريم**، ص٦٣٥-٦٦٠.

للحضارة الإسلامية، فلم يرد في تاريخ المسلمين الأوائل دراسات حقيقية تناولت الترجمة ونظرياتها بصورة جادة، كما أنه لم يتجاوز ما ورد عن نظرية الترجمة في الفكر العربي غير صفحات قلائل لجماعة لم يكابدوا الترجمة ولم يقوموا بها، كالجاحظ وصلاح الدين الصفدي، حيث لم يتعدَّ ما قاموا به سوى أنهم وضعوا بعض الخطوط الرئيسة لمسار عملية الترجمة بشكل مبسَّط.[1]

وقد قام العلماء المسلمون من خلال تناول قضية ترجمة القرآن الكريم بالتأكيد على أصالة القرآن الكريم واستحالة استبداله ببديل آخر، وفي سبيل الدفاع عن النظم العربي للقرآن الكريم، أكد العلماء المسلمون على أن ترجمة القرآن الكريم يجب أن تبقى في مكانة ثانوية، إذ لا يمكن لها في أي حال من الأحوال أن تضاهي الأصل، بل ذهب فريق من العلماء المسلمين إلى القول بتحريم ترجمة القرآن الكريم خوفاً من منافسة ترجماتِ القرآنِ القرآنَ الأصلي.

ويجدر بنا أن نتوقف قليلاً عند هذه المفارقة العجيبة، إذ نرى من جانبٍ انتشارَ ظهور ترجمات القرآن الكريم في مختلف لغات العالم، ونرى من جانب آخر ظهور فتاوى لعلماء أجلاء تنادي بتحريم ترجمة القرآن الكريم، ولا شك أنه من الضروري إزالة اللبس والغموض عن هذه المفارقة إذا ما أردنا أن ندرك أبعاد قضية تحريم ترجمة القرآن الكريم بصورة دقيقة.

إن المتتبع لتاريخ حكم ترجمة القرآن الكريم وتطوره يرى أن العلماء المسلمين عندما اختلفوا في حكم ترجمة القرآن الكريم إنما كان خلافهم نابعاً من اختلافهم في تحديد مفهوم الترجمة، فالمؤيدون والمعارضون لترجمة القرآن الكريم، على الرغم من اختلافهم، يتفقون جميعهم على بعض النقاط المهمة؛ وهي أن القرآن الكريم لا يُطلق إلا على النظم العربي المنزَّل

(١) الجميلي، رشيد حميد، **حركة الترجمة في المشرق الإسلامي في القرنين الثالث والرابع للهجرة**، (طرابلس: الكتاب والتوزيع والإعلان والمطابع، ١٩٨٢م) ص٣٣.

على الرسول ﷺ، وهذا من شأنه أن يسد في وجه ترجمات القرآن الكريم جميع الاحتمالات الممكنة لأن تصبح البديل للأصل، ومن جانب آخر، يتفق المؤيدون والمعارضون أيضاً على ضرورة تبليغ الرسالة القرآنية لغير الناطقين بالعربية.

ولدعم ما قلناه سابقاً، دعونا نتطرق إلى رأيين لعالمين أزهريين يمثلان مذهبي الاعتراض والتأييد لمسألة حكم ترجمة القرآن الكريم؛ هما الشيخ محمد شاكر والشيخ محمد المراغي. فقد رأى الشيخ محمد شاكر أن المراد من الترجمة هو النقل للأصل وتبديله بنص جديد في لغة جديدة معنىً ووظيفةً، لذا فهو يرى أن القرآن الكريم تستحيل ترجمته بالطريقة التي تتم بنقل لفظ بلفظ من النص المصدر إلى النص الهدف.[١] وأما الشيخ المراغي فقد رأى أن الترجمة لا تندرج تحت مفهوم تبديل الأصل بالجديد عن طريق النقل، وقد اعتمد في حجته على رأي الشاطبي القائل بأن المعنى لا يمكن أن ينقل بكامله في الترجمة، ولذا، فإن مفهوم الترجمة يداني مفهوم التفسير، بمعنى أن الترجمة والتفسير وجهان لعملة واحدة، ويعني ذلك أن التفسير إذا كان المراد منه البيان والشرح والتوضيح، فإن الترجمة أيضاً تقوم بهذه الوظائف.[٢]

وعلى ضوء ما تقدم، فإننا إذا أمعنّا النظر في الرأي الأول القائل بتحريم ترجمة القرآن الكريم لوجدنا أنه كان نابعاً من حرص صاحبه على ألا تتخذ الشعوب المسلمة قرآناً خاصاً بهم مكتوباً بلغتهم، فالشيخ محمد شاكر عندما أفتى بتحريم ترجمة القرآن الكريم إنما كان يتخذ إجراءً وقائياً لإحباط أي محاولة تسعى لإنتاج قرآن جديد بلغة أخرى، لاسيما وأن التاريخ قد شهد ظهور محاولات لتبديل القرآن الكريم بترجمات في لغات أخرى. ففي تركيا مثلاً، وبعد سقوط الخلافة الإسلامية، وفي ظل الدعاوى القومية العصبية لنبذ اللغة العربية

---

(١) لم نستطع العثور على النص العربي للمقالة، ولكننا أخذنا فحوى كلام الشيخ محمد شاكر من المقالة الإنجليزية التالية، وهي الترجمة للنص العربي:

Muhammad Shakir, **On the Translation of the Koran into Foreign Languages,** trans. T. W. Arnold, in: The Moslem World, vol. XVI, 1926, pp.161-162.

(٢) المراغي، محمد، بحث في ترجمة القرآن الكريم وأحكامها، (القاهرة: مطبعة الرغائب، ١٩٣٦م)، ص٥.

والعودة إلى اللغة التركية، أصدرت الحكومة التركية الأتاتوركية الجديدة ثلاث ترجمات للقرآن الكريم باللغة التركية لغرض تقديم مجموعة من البدائل للقرآن الأصلي إلى الأتراك.[1] وعلى الرغم من فشل هذه المحاولات في تحقيق مآربها إلا أنها كانت بمثابة نواقيس خطر نبّهت العلماء المسلمين إلى ضرورة اتخاذ موقف حازم وصارم تجاه أي ترجمة للقرآن الكريم تسعى لمنافسة النص الأصلي.

أما إذا انتقلنا إلى الحديث عن الرأي الثاني الذي يقول بجواز ترجمة القرآن الكريم، فنجد أن الشيخ المراغي لم يولِ مسألة توليد نص جديد يضاهي الأصل كبير اهتمامه، بل على العكس تماماً نجده قد شغل نفسه بقضية تفكك الأمة الإسلامية بعد انهيار الخلافة العثمانية الأخيرة، فقد كان يرى ضرورة تفهيم الشعوب الإسلامية رسالة الإسلام بلغتهم الخاصة، لا سيما وأن مناطق إسلامية واسعة قد دخلت تحت مظلة الإمبراطورية الإنجليزية وشهدت تقلص دور اللغة العربية فيها على نحو مخيف.[2]

ومن هذا المنطلق، فإنه ينبغي علينا أن نضع قضية تحريم ترجمة القرآن الكريم في سياقها التاريخي لإماطة اللثام عن الدوافع السياسية التي كانت وراء إصدار فتاوى تحريم ترجمة القرآن الكريم، والتوفيق بين فتوى التحريم وبين الحاجة الدعوية الماسة لربط الشعوب الإسلامية بدينهم وقرآنهم، فتحريم ترجمة القرآن الكريم لم يكن يهدف إلا لدرء المفاسد التي يمكن أن تترتب جراء ظهور قرآن بديل بلغة أخرى، بينما يهدف جواز ترجمة القرآن الكريم إلى خدمة الشعوب الإسلامية من خلال تقديم رسالة الوحي بلغات تلك الشعوب الخاصة في سياق مفهوم التفسير المرتبط بالنص الأصلي والذي تظل المرجعية والسلطة فيه للنص القرآني الأصلي وحده، وبهذا يتضح الموقف الإسلامي من جواز ترجمة القرآن الكريم شريطة أن لا ترتقي تلك الترجمة إلى مستوى الأصل، فهي يجب ألا تتعدى أن تكون تفسيراً للأصل فحسب.

---

(1) Mac Callum, F. Lyman, **Turkey Discovers the Koran**, in: The Moslem World, vol. 23, 1933, pp.24-28.

(٢) البنداق، محمد صالح، **المستشرقون وترجمة القرآن الكريم**، (بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٣م)، ص٧١.

### ٣. ترجمة القرآن الكريم نوع من التفسير

في سبيل تأكيد انفراد النظم العربي باسم القرآن الكريم دون غيره من الترجمات، لجأ العلماء المسلمون إلى مفهوم الترجمة بالتفسير في ترجمة القرآن الكريم، فالترجمة التفسيرية كما يراها العلماء المسلمون تعني شرح الكلام وبيان معناه بلغة أخرى، فالمفسر في هذه الحالة إنما يتكلم بأسلوب المبيِّن للكلام على حسب فهمه، وكأنه يقول للناس: هذا مفهوم الآية لدي. أو بعبارة أخرى، يمكننا أن نقول بأن الترجمة التفسيرية هي ترجمة لفهم شخص، ولا تتضمن وجوه التأويل المحتملة لمعاني القرآن الكريم، وإنما تتضمن ما أدركه المفسر أو المترجم منها.[١]

وإذا عدنا إلى قضية تحريم ترجمة القرآن الكريم، نجد أن التحريم قد اقتصر على الترجمة الحرفية؛ وهي تلك الترجمة المستحيلة التي تسعى إلى إيجاد البديل للأصل، أما الترجمة التفسيرية، أو ترجمة معاني القرآن الكريم، فلم تدخل ضمن دائرة التحريم، بل نجد أنها على العكس من ذلك قد لاقت استحسان جمهور العلماء لأسباب عدة، أهمها أنها ترفع توهم أن تكون الترجمة هي القرآن الكريم نفسه، إضافة إلى أن منهج التفسير يستطيع أن يحل إشكالية نقل المفاهيم الخاصة في القرآن الكريم والتي تعجز الترجمة الحرفية عن أدائها.

وقد قسم مناع القطان الترجمة إلى ثلاثة أقسام، هي: الترجمة الحرفية، والترجمة المعنوية، والترجمة التفسيرية، وقال بأن حكم الترجمة الحرفية حرام لأنها تحاول: «نقل الألفاظ إلى نظائرها من اللغة الأخرى بحيث يكون النظم موافقا للنظم والترتيب موافقا للترتيب.»[٢] ويؤكد الزرقاني أن الترجمات المنتشرة للقرآن الكريم هي تفاسير بلغات مختلفة، وأنها جائزة. وأما المحظور منها فهي الترجمة بمعناها العرفي وهي: «نقل الكلام من لغة إلى أخرى، والتعبير عن معناه بكلام آخر من لغة أخرى، مع الوفاء بجميع معانيه ومقاصده كأنك نقلت الكلام

(١) اللاوندي، سعيد، **إشكالية ترجمة معاني القرآن الكريم**، (القاهرة: مركز الحضارة العربية، ٢٠٠١)، ص٤٠.
(٢) القطان، مناع، **مباحث في علوم القرآن**، (الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٩٩٦م)، ص٣٢٥.

نفسه من لغته الأولى إلى اللغة الثانية. وهذا هو السر في تعبيرهم بنقل الكلام مع العلم بأن الكلام نفسه لا ينقل من لغة بحال»[1]. ويصرح الذهبي في هذا الصدد بأن القرآن الكريم لا يمكن أن تتم ترجمته حرفيا لما في ذلك من محاولة تبديل الأصل لفظاً وأسلوباً ومعنى، وأن ترجمات القرآن الكريم هي عبارة عن تفاسير أي: «شرح الكلام وبيان معناه بلغة أخرى»[2].

ويأتي ربط علماءِ المسلمين الترجمةَ بالتفسير في سياق أن الترجمة تتساوى مع التفسير بحكم طبيعتها التي تسمح بظهور أكثر من نص واحد مقبول، فظهور التفاسير الكثيرة عبر الحقب الزمنية لتاريخ الإسلام لم يكن إلا وليد تعدد واختلاف نظرة المفسرين الشخصية والذاتية التي عكست اتجاهاتهم الفردية في فهم آيات القرآن الكريم. ولعل في ذلك ما يمنع أن تكون الترجمة بديلاً مطلقاً للأصل لأنها لا بد أن تتأثر بالخصائص الذاتية للمترجم، فالمترجم لا يمكن أبداً أن يكون وسيطاً محايداً. وبما أن عملية استنباط معنى النص المصدر هي الأساس في عملية الترجمة، يصبح المترجم المسؤول الأول والأخير عن تحديد المعنى لأن النص المصدر لا يتم اكتشاف معناه إلا من خلال المترجم وحده. فالمترجم عندما يتصدى لعملية الترجمة إنما ينظر إلى النص من منظوره الشخصي، وهذا من شأنه أن يصبغ الترجمة في نهاية المطاف بأثره وفهمه الخاص بناء على مجموع الخبرات والمعارف والثقافات التي تراكمت في ذهنه أثناء عملية الترجمة، من هنا فإن راباسا (Rabassa) يرى أن المترجم حين يواجه عدداً من الخيارات اللفظية والتركيبية والأسلوبية فإنه في ذلك الحين يُحكِّم ذوقه الشخصي، ويقرر في نهاية المطاف ما يتلاءم مع ذوقه.[3]

---

(١) الزرقاني، محمد عبد العظيم، **مناهل العرفان في علوم القرآن**، (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٤٣م)، ص ١١٠.

(٢) الذهبي، محمد حسين، **التفسير والمفسرون**، (القاهرة: بدون ناشر، ١٩٧٦م)، ص ٢٤.

(3) Rabassa, Gregory, **No Two Snowflakes Are Alike**, in: The Craft of Translation, Bigunet, John & Schulte, Reiner (eds.), (Chicago: The University of Chicago Press, 1989), p.6.

ويمكن في هذا الصدد تشبيه ترجمات القرآن الكريم المختلفة بدور الممثل للأصل، فالممثل بطبيعة الحال يمكن أن يكون أي شخص، ويمكن أن يكون أكثر من واحد، إلا أنه من الاستحالة بمكان أن يكون مثل الأصل في الهوية والذات، والمنطق السليم الذي لا يشوبه ريب ولا شك لا يقبل أبداً أن يكون الوكيل أو الممثل لشخص ما هو الشخص نفسه، وبناء على ذلك، يؤكد جنتزلر (Gentzler) على أن الأصل، رغم كونه واحداً فقط، لا يمكن أن تكون له ترجمة واحدة فحسب، ومن الطبيعي أن نجد للأصل ترجمات متعددة ومتباينة في الأسلوب والاتجاه باختلاف القائمين عليها.[1]

ومما يؤكد رسوخ منهج الترجمة التفسيرية في ترجمة القرآن الكريم أن معظم مترجمي القرآن الكريم يؤكّدون ويصرّحون بأن ترجماتهم لا تخرج عن مفهوم التفسير، فالمترجم عبد الله يوسف علي يقول في مقدمة ترجمته للقرآن الكريم بأنه لا يعتمد في ترجمته على رأيه الشخصي وإنما يعتمد على أقوال المفسرين، وفي حال اختلاف المفسرين في الرأي فهو يختار عندئذ أكثر الآراء وجاهة وملائمة في تقديره الشخصي.[2] كما يؤكد المترجم أرفيغ (Irving)، بأن ما يحاول تقديمه للقراء من خلال ترجمته لآيات القرآن الكريم ليس ترجمةً بل تفسيراً متواضعاً لمن يرغب في الاطلاع على مضمون القرآن الكريم باللغة الإنجليزية.[3]

### ٤. استحالة توفر شروط المترجم المثالي لترجمة القرآن الكريم

يُعدُّ المترجم العنصر البؤري في عملية الترجمة، فهو الوسيط بين اللغتين المصدر والهدف، وهو الجسر الذي ينقل المعلومات من النص الأصل إلى قراء اللغة الهدف؛ لذلك كان المترجم المسؤولَ الأولَ والأخيرَ عن صحة الترجمة وجودتها، وقد أشار الجاحظ في كتابه الحيوان إلى صعوبة تحقيق شروط المترجم المثالي، فقال: «إن الترجمان لا يؤدي أبداً قول الحكيم على

(1) Gentzler, Edwin, **Contemporary Translation Theories**, (Clevedon: Multilingual Matters, 1993), p.13.
(2) Ali, Abdullah Yusuf, **The Holy Qur'an**, (Kuala Lumpur: Saba Islamic Media, 2000), p.xvii.
(3) Irving, T. B., **The Quran**, p.xli.

خصائص معانيه وحقائق مذهبه ودقائق اختصاراته وخفيات حدوده، ولا يقدر أن يوفيها حقوقها، ويؤدي الأمانة فيها».[1]

ومما لا شك فيه أنه من الصعوبة بمكان تحقيق الكفاءة اللغوية بصورة مثالية في لغتين مختلفتين لدى شخص واحد. وهذا يعني أن المترجم لا يستطيع أن يمسك بناصيتي اللغتين، المصدر والهدف، على قدم المساواة، وقد قال الجاحظ في هذا الصدد: «ما تعلم أحد لغتين إلا كانت إحداهما على حساب الأخرى».[2]

إن اكتساب لغتين على المستوى المعرفي نفسه لا يتحقق إلا في النادر، وإن تحقق فلن يكون على كفاءة عالية مرضية، وقد علّل ابن خلدون ذلك بأن الملكة اللغوية إذا تمكنت في الذهن ورسخت صدت المحل دون ملكة لغوية أخرى، ومن ثم، لا تتحقق الثانية إلا ناقصة ومخدوشة.[3]

وقد استخلص كريستل (Crystal)[4] من متابعة آراء اللغويين الغربيين بأن الثنائية اللغوية في حد نفسها مصطلح غامض يحتمل عدة تفسيرات مختلفة، فشرط توفر كفاءة ابن اللغة في لغتين مختلفين ليس واقعياً، فعلى الرغم من وجود أفراد ذوي قدرة مثالية على لغتين مختلفين فإن ذلك لا يكون إلا في حالات استثنائية نادرة لا تصلح أن تكون قاعدة عامة لتفسير ظاهرة ثنائية اللغة، وقد أكدت البحوث اللغوية المتأخرة أن أغلبية ثنائيي اللغة لا يملكون قدرة مماثلة على لغتيهم، كما أن كثيراً منهم يخفق في تحقيق قدرة ابن اللغة الأصيل في كلتا اللغتين، إذ قد تكون إحداهما أفصح من الثانية، وقد تتدخل ويؤثر نطقها في الثانية، وقد تكون إحداهما ببساطة لغة مفضَّلة في مناسبات معينة.

---

(١) الجاحظ، عمرو بن بحر، **كتاب الحيوان**، (القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ج١، ١٩٦٩م)، ص٧٥.

(٢) الجاحظ، أبو عثمان، **كتاب الحيوان**، ج١، ص٣٦٨.

(٣) ابن خلدون، **المقدمة**، (بيروت: دار الكتاب اللبناني، ١٩٦١م)، ص١٠٨٨.

(4) David, Crystal, **The Encycloprdia of Language**, (Cambridge: Cambridge University Press, 1997), p.364.

وفي سياق ترجمة القرآن الكريم، تتفاقم مشكلة تحقيق المعايير المثالية في المترجم الكفء بشكل حاد، إذ يتعذر إضفاء صفات الأمانة والمصداقية والثقة على ترجمات القرآن الكريم، ويعود ذلك إلى سبب بسيط، وهو أن القرآن كلام الله عز وجل، وله مكانة غاية في التقديس لدى جميع المسلمين قاطبة، ويقتضي المنطق السليم أن عمل المخلوق الضعيف لا يستطيع ألبته أن يضاهي عمل الخالق العزيز القوي.

وقد عزا لافافير (Lefevere) الدافع وراء موقف المسلمين تجاه وضع الترجمات القرآنية في منزلة دونية إلى عدم ثقة المسلمين في وجود مترجم صاحب قدرة مثالية تؤهله لترجمة القرآن الكريم،[1] ويقرر ولتر بنجامين (Walter Benjamin) بأن قضية إمكان ترجمة نص معين ترتبط بسؤالين أساسيين؛ أولهما: هل يمكن إيجاد مترجم متمكن وقادر على أداء الترجمة من بين قراء النص الهدف؟ وثانيهما: هل تخضع طبيعة النص المصدر لعملية نقل المعنى؟[2]

ولعل السبب وراء تصنيف ترجمات القرآن الكريم عند العلماء المسلمين بأنها تفاسير ينبع من محدودية فهم المترجم الناتجة من معرفته الخاصة المحدودة، ففهم المترجم لا يمثل إلا جزءاً من "المعنى الكامل" للقرآن الكريم. ويعني ذلك أننا لو افترضنا جدلاً أن الترجمة وسيلة لإنتاج البديل للأصل، أو أداة يتولد بها نص مطابق للأصل في جميع مقوماته ووظائفه ومعانيه، فهذا يعني الإقرار بصلاحية المترجم المطلقة وقدرته الحاسمة على تحديد المعنى المراد والمضمّن في النص المصدر.

من هذا المنطلق، يؤكد محمد رشيد رضا بأن صلاحية المترجم وقدرته على تحديد المعنى ليست إلا جزءاً أو طرفاً من عملية تحصيل المعنى وإدراكه، إذ إن ذلك لا يتم إلا عن طريق استحضار ما قد تجمعت لديه من المعلومات سواء أكانت من عند نفسه أو من غيره من المفسرين.[3]

---

(1) Lefevere, André, **Translation: Its Geneology In the West**, In: Translation , History & Culture, (London: Routledge, 1992), p.17.

(2) Benjamin, Walter, **The Task of The Translator**, In: The Translation Studies Reader, Venuti, Lawrence (ed.), (London: Routledge, 2000), p.16.

(٣) رضا، محمد رشيد، **فتوى ترجمة القرآن الكريم**، مجلة المنار، ١٩٠٨م، مجلد ١١، جزء ٤، ص ٢٦٨-٢٧٤.

إن ترجمات القرآن الكريم، على كثرتها في العالم اليوم، لا تخدم إلا غرض التوضيح والبيان، ولم يذكر التاريخ أبداً أن تجرأ أحد مترجمي القرآن الكريم وادعى لترجمته الكمال والأفضلية، بل شهد التاريخ إخفاقات متكررة لترجمات فردية مختلفة، ولعل في ذلك ما يفسر تردد كثير من المترجمين في خوض غمار ترجمة القرآن الكريم، إذ لا مفر من الوقوع في الخطأ والزلل في فهم معاني القرآن الكريم مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

إن الدور المثالي الذي يقوم به المترجم يستلزم وجود شخص مثالي يمتلك المعرفة الكاملة باللغتين المصدر والهدف، والفهم التام لجميع المعاني الأولية والثانوية للنص المصدر، بالإضافة إلى امتلاك المقدرات الاتصالية لإحداث التأثير الذي أحدثه النص الأصلي في القراء الجدد، ونظراً إلى أن توافر هذه المجموعة المثالية من القدرات لدى شخص واحد نادر جداً إن لم يكن مستحيلاً، فقد ظهر توجه حديث اليوم يهدف إلى توزيع العناصر الجوهرية في دور المترجم على مجموعة من الأشخاص يؤلفون ما يعرف اليوم بلجنة الترجمة، حيث يتم تقسيم مسؤولية الترجمة على الأعضاء بشكل متساوٍ، ويمكن أن ينضم إلى لجنة الترجمة بعض الاستشاريين والمدققين والمراجعين، وقد تولّت بعض السلطات المركزية مهمة ترجمة القرآن الكريم على عاتقها في صورة جماعية، ففي المملكة العربية السعودية، تم إنشاء مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف الذي تولّى مهام ترجمة القرآن الكريم إلى لغات الشعوب الإسلامية في صورة جماعية يشترك فيها مجموعة من المتخصصين من العلماء واللغويين والمترجمين.

ولكن، على الرغم من تنوع الأساليب والوسائل في ترجمة القرآن الكريم، يظل البشر جميعاً عاجزين عن تقديم فهم حقيقي وكامل للقرآن الكريم، الأمر الذي يجعل ترجمات القرآن الكريم تظل على الدوام مجرد تفاسير لا تهدف إلا للبيان والتوضيح والشرح فحسب.

### ❁ ترجمة القرآن الكريم في ضوء دراسات الترجمة

طرحت دراسات الترجمة الحديثة الغربية جملة من الآراء والفرضيات والنظريات بشأن

ترجمة النصوص الدينية، وقد أسفرت هذه الدراسات عن بعض الفرضيات والنظريات التي يبدو في ظاهرها أنها تتعارض مع مبادئ ترجمة النص الديني لدى المسلمين، ولتوضيح هذه المفارقة، يجدر بنا أن ننوه إلى أن الغرب عندما تناول قضية ترجمة النصوص الدينية إنما كان يُعني بترجمة الإنجيل وحده، بخلاف المسلمين الذين تناولوا دراسة ترجمة النص الديني من منطلق ترجمة القرآن الكريم، ولعل عِلّة اختلاف النص الديني بين المسلمين والغرب كانت السبب وراء اختلاف مفهوم ترجمة النص الديني ومبادئها بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي، ومن هذا المنطلق، فإن البحث سيقف في هذا المبحث على بعض المبادئ في ترجمة النص الديني في دراسات الترجمة الحديثة للتعرف على مدى جدارتها وصلاحية تطبيقها على النصوص الدينية بصورة عامة، والنص القرآني بصورة خاصة.

## ١. مبدأ التكافؤ الدينامي في ترجمة النصوص الدينية

يطالعنا المترجم والمبشِّر يوجين نايدا (Eugene Nida)، أحد أشهر منظّري الترجمة في العصر الحديث في كتابه **نحو علم الترجمة**، بمفهوم التكافؤ الديناميDynamic Equivalence)، ويعرف نايدا الترجمة ذات التكافؤ الدينامي بأنها الترجمة التي تسعى إلى أن تحقق في قرائها التأثير نفسه الذي أحدثه النص الأصلي في قرائه الأصليين، فالترجمة من هذا المنظور لا تهتم كثيراً بمكافأة النص الأصلي بالنص المترجم، بل تهتم بمكافأتها بالعلاقة الدينامية التي ربطت النص الأصلي بقرائه الأصليين وإحداث العلاقة الدينامية نفسها بين الترجمة وقراء اللغة الهدف، وذلك من خلال ربط صيغ وسلوك النص الأصلي ببيئة قراء اللغة الهدف وثقافتهم.[1]

وعلى ضوء هذا التعريف، فإن مبدأ التكافؤ الدينامي يجيز للمترجم أن يختار ويفعل ما يراه مناسباً من أجل تحقيق تأثير النص الأصلي على قراء الترجمة، وهذا يعني أن مبدأ التكافؤ الدينامي يمنح المترجم سلطةً خاصةً عليا تفوق سلطة النص الأصلي وحقاً مطلقاً بدون قيد وضابط للتصرف في النص الأصلي بما يتناسب مع ذوق المترجم الشخصي الخاص.

---

(١) نايدا، يوجين، **نحو علم الترجمة**، ترجمة: ماجد النجار، (بغداد: مطبوعات وزارة الإعلام، ١٩٧٦م)، ص٣١٠.

لا شك ولا ريب أن العلماء المسلمين لن يقبلوا بأي حال من الأحوال تطبيق مبدأ التكافؤ الدينامي في ترجمة القرآن الكريم؛ لأنه يفتح باب التأويل وحرية التصرّف بدون قيد وضابط، فمبدأ التكافؤ الدينامي في ترجمة النصوص الدينية في مفهوم نايدا ليس أكثر من تحريف صريح وتشويه متعمد لكلام الله عز وجل إذا ما طُبِّق في ترجمة القرآن الكريم، فلم يحرّم جمهور العلماء المسلمين الترجمة بالتأويل إلا لأنها يمكن أن تقود إلى التحريف والتبديل والتشويه، وهو ما تدعو الترجمة الدينامية إليه صراحة وعلانية.

لقد اتخذ العلماء المسلمون إجراءات وقائية كثيرة في سبيل سد باب تأويل القرآن الكريم بالهوى، فوضعوا شروطاً وضوابط تحكم عمل المفسر في استنباط معاني القرآن الكريم، أهمها أن المفسر أو المترجم لا يجوز له أن يقدم رأيه الشخصي وملاحظاته الفردية والاحتكام إلى هواه وذوقه الخاص.

إن إشكالية الترجمة ذات التكافؤ الدينامي تكمن في كونها لا تتم في أغلب الأحوال إلا على حساب المعنى، فعلى سبيل المثال، نقل أربيري (Arberry) ترجمةً لسورة الفاتحة حاولت أن تحافظ على الموسيقى الموجودة في خواتم الآيات عن المترجم الإنجليزي بورتون (Burton) الذي اشتهر بترجمة **ألف ليلة وليلة**، وهي كالآتي:[1]

In the Name of Allah, the Merciful, the Compassionate!
Praise be to Allah, who the three worlds made,
The Merciful, the Compassionate,
The King of the Day of Fate,
Thee alone do we worship, and of thee alone do we ask aid,
Guide us to the path that is straight-
The path of those to whom thy love is great,
Not those on whom is hate,
Nor they that deviate.
*Amen*

(1) Arberry, A.J., **The Holy Koran An Introduction with Selections**, (London: George Allen & Unwin Ltd., 1953), p.29.

ونلاحظ في هذه الترجمة أن المترجم الإنجليزي نجح إلى حد ما في المحافظة على الموسيقى في ترجمته، وذلك عندما ختم جمله بألفاظ مسجوعة مثل: ( made, fate, aid, straight, great, hate, deviate)، ولكنه في المقابل، ومن أجل الموسيقى فقط، أعطى نفسه حق التصرف في تغيير بعض المعاني عندما احتكم إلى ذوقه وحسه الفني، فقال في ترجمة الآية الثانية: (Praise be to Allah, who the three worlds made) بمعنى: "الحمد لله الذي خلق العوالم الثلاثة"، وشتان ما بين هذا المعنى والنص الأصلي للآية الكريمة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ١]!

إن من أهم الانتقادات التي وجهت للتكافؤ الدينامي، أن نيدا لم يتكلم بالتفصيل عمّا قصده بتأثير الأصل، ولعله في عرض مفهوم نقل التأثير قد تأثر بالاتجاه السلوكي؛ لأنه يرى أن هدف الترجمة يكمن في تحقيق التأثير والاستجابة المتماثلين، والحقيقة التي لا يختلف عليها أحد أن تحقيق التأثير المتماثل أشبه بالمحال لأن التأثير يرتبط بالوظيفة الجمالية للنص، وهذه الوظيفة شديدة الارتباط بالشكل اللغوي الذي لا يمكن تحصيله من جديد في لغة أخرى نتيجة اختلاف اللغات في تراكيبها وأنظمتها، ومن جانب آخر، تؤكد الدراسات اللغوية استحالة تحقيق الاستجابة المماثلة لدى قارئ النص المترجم وقارئ النص الأصلي بسبب اختلاف الإطار الثقافي والتاريخي والاجتماعي للنصين، ويستبعد فان دن بروك ( Van den Broeck) ولاروز (Larose) إمكان تحقيق التأثير المماثل، إذ: كيف يمكن قياس ذلك التأثير؟ ومن هم القراء الذين سوف يتأثرون؟ وكيف يمكن للنص أن يحدث التأثير المماثل في قراء ينتمون لثقافات مختلفة وأزمنة مختلفة؟ إضافة إلى أن مسألة التأثير المماثل تتضمن حتماً بعض الأحكام الذاتية من جانب المترجم أو من يتولى تحليل النصوص المترجمة.[1]

وعلى صعيد آخر، فإن القول بأن التكافؤ الدينامي إذاً كان يهدف إلى خلق التأثير الذي

(١) انظر: عناني، محمد، نظرية الترجمة الحديثة: مدخل إلى مبحث دراسات الترجمة، (القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ٢٠٠٣م)، ص٦٥.

أحدثه النص الأصلي في الترجمة، فإن ذلك يعني أن ترجمة القرآن الكريم ترجمة دينامية من شأنها أن تخلق ترجمة مماثلة للنص الأصلي، تضاهيه في التأثير، وهذا أمر يرفضه الإسلام والمسلمون، وسبق أن فصّلنا القول بشأن موقف العلماء المسلمين تجاه ترجمات القرآن الكريم، وهو أن ترجمات القرآن الكريم يجب أن تعمل عمل المفسر وحسب، وهو تفهيم الشعوب الإسلامية غير العربية معاني القرآن الكريم دون محاولة تحصيل التأثير الأصلي للقرآن الكريم.

## ٢. مبدأ التطبيع في ترجمة النصوص الدينية

يهدف مبدأ التطبيع (naturalization) في الترجمة إلى إعفاء القراء من إجهاد فكرهم وإعمال عقلهم في فهم النص المترجم، فعمل المترجم من منطلق التطبيع يتلخص في تقديم المعلومات الجاهزة لقراء اللغة الهدف بطريقة سهلة وميسرة، وفي سبيل تحقيق ذلك ينبغي على المترجم إلغاء الفروق اللغوية وتجاوز الاختلافات الثقافية بين النص الأصلي والترجمة، فيقوم بتحوير أي مفهوم جديد في النص الأصلي وتطبيعه وإعادة تصويره وصياغته بما هو مألوف لدى قرّاء الترجمة.

وعلى ضوء هذا التعريف يظهر لنا أن مفهوم التطبيع ليس إلا امتداداً لمفهوم التكافؤ الدينامي الذي دعا له نايدا عند حديثه عن: «أقرب مكافئ طبيعي».[1] فالمكافئ الطبيعي هو البديل الذي لا يستنكره قراء اللغة الهدف، ولا يجيدون فيه غرابة، وبما أن الغرابة في الترجمة تتولد بسبب الاختلافات اللغوية والثقافية، فإن التطبيع في عملية الترجمة يمكن أن يدخل إما على التراكيب والأساليب اللغوية أو المفاهيم الثقافية، ويعني ذلك أن التطبيع قسمان؛ تطبيع للتراكيب اللغوية وتطبيع للمفاهيم.

ونظراً إلى النص القرآني يتمتع بخواص لغوية تختلف عن خواص اللغات الأخرى، فإن مبدأ التطبيع يمكن أن يقدّم بعض الحلول النموذجية لتجاوز العقبات والفروق اللغوية، وتتزايد الحاجة للتطبيع بشكل أكبر عند ترجمة الصور البيانية في القرآن الكريم، فبعض

(١) نيدا، يوجين، نحو علم الترجمة، ص٢١٢.

الصور البيانية لا يمكن نقلها نقلاً حرفياً، بل يجب مكافأتها على أساس مبدأ التطبيع والتعويض والاستبدال، فترجمة الاستعارة مثلاً تقتضي البحث عن استعارة أخرى تؤدي وظيفة الاستعارة الأولى دون النظر إلى تركيبها اللغوي، فعلى سبيل المثال، قام المترجم محمد مرمادوك بكثول بترجمة قوله تعالى: ﴿كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾[طه: ٤٠]، بمعنى (كي لا تحزن).[1]

أما إذا انتقلنا إلى الحديث عن ترجمة المفاهيم الجديدة الوافدة في القرآن الكريم بالتطبيع، مثل الصلاة والزكاة، فإن العلماء المسلمين يرفضون هذا المبدأ رفضاً قاطعاً؛ وذلك لأن القرآن الكريم يحمل رسالة عالمية لكل الناس، ولا يسعى لإرضاء رغبات شخص ما، أو تلبية احتياجات شعب ما، وهذا يعني أن ترجمة القرآن الكريم يجب أن تنقل كلام الله كما أراده عز وجل، وليس كما يريده الناس، فليس من المقبول أبداً تحوير آيات تحريم الخمر والربا وتطويعها بشكل يتناسب مع رغبات واحتياجات مدمني الخمور وعشاق الربا.

وحقيقةً، ليس هناك ما يبرر تطبيع المفاهيم في الترجمة، فجميع المفاهيم مهما بلغت من التعقيد والغموض يمكن تبليغها وإيصالها بكل بساطة عن طريق الشرح والبيان، كما أنه ليس من المعقول التقليل من شأن المفاهيم الوافدة لمجرد أنها مفاهيم جديدة قد يستغلق فهما على قراء الترجمة، ففي بعض الأحيان تكون المفاهيم الوافدة أهم عناصر النص الأصلي، مثل الصلاة والصوم والزكاة والحج في القرآن الكريم. فالمسلم لا يمكنه بحال أن يطبع مفهوم الصلاة مثلا بالطقوس الدينية والروحانية المألوفة في ثقافات الشعوب المختلفة؛ لذلك، ونظراً لاستحالة تطبيع المفاهيم الإسلامية، فقد عمدت جميع الشعوب الإسلامية إلى اقتراض المفاهيم الدينية في الإسلام كالصلاة والصوم والزكاة والحج بألفاظها العربية وضمّها في قاموسها بدون تحريف أو تبديل، لأنها تمثل أركان الإسلام الرئيسة التي لا يقوم للدين شأن بدونها.

وعلى صعيد ترجمة الإنجيل، لم يسلم مترجمو الإنجيل الذين أباحوا لأنفسهم تطبيع

(1) Pickthall, Mohammad Marmaduke, **Holy Quran: English Translation**, (Hyderabad: The Government of H.E.H. Mir Osman Ali Khan, 1930) p.20.

المفاهيم في الإنجيل من اللوم والتوبيخ، فقد صبَّ بعض رجالات الكنيسة جام غضبهم على المبشرين والمترجمين الذين منحوا أنفسهم حق التطبيع المطلق، وعلى رأسهم نايدا، فجنتزلر (Gentzler) في كتابه **نظريات الترجمة المعاصرة** يستنكر أن يُقْدِم نايدا في إطار المذهب البروتستانتي على ترجمة الإنجيل بالتطويع المطلق. كما هاجمت بعض الجماعات الدينية تطويع الكتاب المقدس، واعتبروا ما قام به نايدا من باب العبث بكلمات الله مما يستوجب الإدانة.[1]

إن التطبيع المطلق للمفاهيم يُعدّ في الحقيقة اعتداءً على المفاهيم الأصلية وانتهاكاً لإرادة النص الأصلي، وقد يأتي بنتائج عكسية في بعض الأحيان، فعلى سبيل المثال، ذكر مرلو (Marlowe) أن بعض المبشرين أرادوا أن يترجموا الإنجيل إلى إحدى اللغات القبليَّة في إفريقيا، وقد قاموا قبل البدء في الترجمة بدراسة معتقدات هذه القبيلة للتعرف على آلهاتهم من أجل الاستفادة منها وتوظيفها في عملية الترجمة والتبشير، وقد استقرَّ رأيهم على استخدام اسم الإله الأعظم لدى القبيلة لوصف الرب في العقيدة المسيحية، فذكروا هذا الإله في ترجمة الإنجيل، وبعد الانتهاء من الترجمة، وتوزيع الإنجيل الجديد على أفراد القبيلة، فوجيء المبشرون بأن أحداً من القبيلة لم يتنصّر، وعندما قاموا بدراسة أسباب هذا الإحجام، وجدوا أن اسم الإله المستخدم في الإنجيل المترجم يرجع إلى أكثر الآلهات شراسة وظلماً وفتكاً للدم في عقيدة القبيلة، وقد كان جميع أفراد القبيلة يكرهون هذا الإله كرهاً شديداً؛ لذلك، لم يقدم أحد منهم على الدخول في النصرانية، واكتشف المبشّرون بعد فوات الأوان أنهم أخطأوا وأضرّوا ببرنامجهم التبشيري عندما أرادوا تطبيع الرب في العقيدة المسيحية بإله أخر،[2] وكيف يتسنى لهم ذلك، وليس للرب المراد نقله في الإنجيل مثيل في عقيدة القبيلة الأفريقية التي ذهبوا إليها؟!

ونضرب مثالاً حياً آخر للتطبيع الذي لا يقبله العقل السليم والمنطق القويم، فقد حاول

---

(١) نقلا عن: عناني، محمد، نظرية الترجمة الحديثة، ص٦٦.

(2) Marlowe, Michael, **Against the Theory of Dynamic Equivalence**, in: (http://bible.researcher.com/equivalence.html).

بعض المبشرين في إندونيسيا ترجمة اسم الإنجيل إلى اللغة الملايوية بلفظ (الكتاب)، والرب بلفظ الجلالة (الله)، من أجل إشعار المسلمين الإندونيسيين بقوة العلاقة التي تربط المسيحية بالإسلام والإنجيل بالقرآن الكريم، ولا يمكن أن نتصور أن القرآن الكريم يمكن أن يترجَم إلى العالم المسيحي باسم (الإنجيل المسلم) لمجرد أننا نرغب في إشعار القراء في أوروبا بقوة العلاقة التي تربط الإسلام بالمسيحية.

إن من أهم الانتقادات التي وجّهت لتطبيع المفاهيم أن المفاهيم الثقافية الغائبة عن بيئة ما لن تكون غائبة بالضرورة عن هذه البيئة للأبد، بمعنى أن ما لم يكن موجوداً أصلاً في ثقافة ما لا يعني بالضرورة أنه سيبقى غير مفهوم أبداً لدى أبناء تلك الثقافة، فتزايد الاحتكاك بين الأمم والشعوب يمكّنهم تدريجياً من ملاحظة الفروق الثقافية فيما بينهم، ومن ثم قبولها أو الاعتراف بها في آخر المطاف، وقد أصبحت المفاهيم الإسلامية مألوفة ومعروفة اليوم لدى جميع الشعوب الإسلامية على الرغم من أنها كانت مفاهيم جديدة غير معروفة على الإطلاق لهذه الشعوب في يوم من الأيام قبل اعتناقها الإسلام.

من جانب آخر، فإن التخوف الشديد والمبالغ فيه من عدم قدرة قراء اللغة الهدف على فهم الأفكار والمفاهيم الجديدة يُعَدُّ في حقيقة الأمر إهانة صريحة لهؤلاء القراء. وقد أشار نيومارك (Newmark) إلى عدم الاستخفاف بذكاء القارئ، فعلى المترجم ألّا يجعل تعامله مع القراء كتعامله مع الجاهل الذي يخشى عليه دوماً من سوء الفهم وجهل المعنى، وقد رفض نيومارك الرأي الذي يقول بأنه كلما قل ما يبذله القارئ من جهد كانت الترجمة أفضل، فهو يرى أن: «المعنى معقد ومتعدد المستويات، وهو شبكة من العلاقات تشبه في تعقيدها قنوات التفكير في الدماغ، وكلما زاد الاتصال والتعميم والتبسيط نقص المعنى، والمرء أشد ما يكون وعيا للمعنى حين يفكر، أو حينما يكلم نفسه بصمت».[1]

(١) نيومارك، بيتر، اتجاهات في الترجمة: جوانب من نظرية الترجمة، ترجمة: محمود إسماعيل الصيني، (الرياض: دار المريخ، ١٩٨٦)، ص١٠٥.

### ٣. نظرية اللاحتمية في الترجمة

لقد أثارت الدراسات اللغوية الحديثة الشكوك حول حقيقة المعنى، إذ لم تعد اللغة قائمة من كلمات بحفظها يتمكن المرء من اللغة، فسوسير (Saussure) يقرر أن الكلمات لا تمثل متصورات ذهنية معطاة سلفاً، وأن العلاقة بين الكلمة والمعنى علاقة اعتباطية تتحدد بالعلائق والفوارق بين هذه الكلمة من جهة، والكلمات الأخرى الدالة على معاني شبيهة لمعناها من جهة أخرى،[١] ومن جهة أخرى، يصرّح بلومفيلد (Bloomfield) باستحالة الترجمة لاستحالة تحديد المعنى تحديداً علمياً؛ وذلك لإن عملية إدراك معنى نص لغوي ما وفهمه تتطلب معرفة كاملة بأحوال المتكلمين واستجابات المخاطبين، وهذه المعرفة تساوي تقريباً مجموع كامل المعارف الإنسانية، وبما أن المدى الحقيقي للمعارف لدى البشر صغير جداً، فإن بلومفيلد يرى أن الترجمة عملية غير مأمونة الجانب، فهي غير شرعية نظرياً ومستحيلة عملياً.[٢]

وعلى ضوء ما تقدم، جاء الفيلسوف الأمريكي كوين (Quine) بنظرية اللاحتمية في الترجمة (Indeterminacy of Translation)، والتي تقول بأن الترجمة ستبقى دائماً في حالة من اللاحتمية لعدم قابلية المعنى للتحديد بدقة وبشكل متفق عليه، كما رفض الفيلسوف دريدا (Derrida) إمكان الترجمة بوصفها عملية نقل للمعنى، واشترط أن تكون الترجمة إنتاجاً لنص جديد، إذ لا يمكن أن تكون الترجمة نسخة طبق الأصل للنص الأصلي، حيث لا مفر من تغير المعنى مهما حاول المترجم المحافظة عليه.[٣]

ويؤكد بنيامين (Benjamin) بأن المعنى أثناء النقل والترجمة لا يقر على قرار، بل

---

(1) Saussure, Ferdinand de, **Pengantar Linguistik Umum** (A Course in General Linguistics), Ajid Che Kob (trans), (Kuala Lumpur: DBP, 1993), p.77-82.

(2) Bloomfield, Leonard, **Bahasa**, (Language), Alias Mahpol (trans), (Kuala Lumpur: DBP, 1993), p.159-180.

(٣) دريدا، جاك، برج بابل، في: الاختلاف في الترجمة، جوزيف جراهام، ترجمة: ماجد النجار، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩١م)، ص١٦١.

يتعرض دائماً للتغيير، كما أن اختلاف ترجمة النص الواحد لدى أكثر من مترجم لدليل واضح على أن المعنى دائماً ما يكون في حالة غير مستقرة، حيث يدور في مراحل انتقالية مستمرة عند تداوله بين الناس.(١)

إن أخطر ما في نظرية اللاحتمية أنها تقول بنفي وجود المعنى الثابت وتشكك في وجود الحقيقة المطلقة للمعنى، وهذا القول يصطدم ويتعارض مع مسلمات الفكر الإسلامي؛ لأن القول بعدم استقرار المعنى يعني أن المفاهيم المتعلقة بالعقيدة والإيمان قابلة للتغير، وتخضع للنظرة الشخصية للأفراد، مما يجعل معانيها تتفاوت من شخص لآخر، بيد أن حقيقة المعاني ليست على هذا الزعم، فمفهوم وحدانية الله في الإسلام هو نفسه في الفكر العربي وفي فكر الشعوب الإسلامية غير العربية، لكن ذلك لا ينفي احتمال تعرض المفهوم نفسه للتفسيرات الشخصية والفردية، وعلى ضوء ذلك، ينبغي التفريق بين المعنى الأصلي الاجتماعي المتفق عليه والمعنى الذاتي الذي يختلف عليه الأفراد.

وجدير بالذكر أن ظهور النظريات التي تقول بنفي وجود المعنى الثابت إنما كان وليد الفكر الغربي الحديث العلماني الملحد الذي يرى أن لا سلطة فوق سلطة الإنسان، وأن الإنسان هو مصدر المعرفة، وبيده وحده فقط يتحدد المعنى، إن ما ذهب إليه كوين ودريدا من التشكيك في وجود الحقيقة المطلقة للمعنى ينافي وجود حقيقة المفاهيم العقدية المستقرة تمام المنافاة، مثل التوحيد والنبوة، فضلاً عن ثبوت الحقائق الأخرى مثل الحقائق الرياضية التي يتفق عليها الجميع.

ونستطيع أن نتلمس مفهوم المعنى وحقيقته في الفكر الإسلامي في شرح ابن عباس ﷺ لمعنى التفسير، حيث قال ﷺ: «إن التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يُعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى».(٢)

(1) Benjamin, Walter, **The Task of the Translator**, p.72.

(٢) انظر: الطبري، أبو جعفر، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (مصر: طبع بولاق، ج١، ١٣٢٩هـ)، ص٩٨.

ويستفاد من قول ابن عباس أن المعنى على أربعة ضروب: المعنى الذي تفيده اللغة من حيث خصائصها الشكلية، والمعنى العالمي الذي يفهمه كل الناس، والمعنى الخاص الذي يفهمه المتخصصون والعلماء، والمعنى الذي لا يدركه إلا الله. ولئن أخذنا المعنى بهذه الضروب الأربعة وطبقناه على قضية إمكان نقل المعنى من خلال الترجمة لوجدنا أنه نسبي الطبع؛ فهناك مفاهيم مشتركة لا تتغير بالترجمة، وأخرى قد يترتب عليها بعض الاختلافات نتيجة اختلاف خصائص اللغة والخلفية المعرفية لقراء النص الهدف.

### ٤. استحالة الترجمة أو إمكانها

انقسم العلماء في قضية استحالة الترجمة أو إمكانها إلى ثلاثة فرق؛ فريق يقول باستحالة الترجمة، وفريق آخر يقول بإمكان الترجمة، وفريق ثالث يقول بأن الترجمة شبه ممكنة، ويجدر بنا أن نتخذ موقفاً حاسماً تجاه هذه القضية، فنحن إن سلمنا بإمكان الترجمة فذلك يعني أن أي ترجمة للقرآن الكريم يمكن أن تكون بديلة للقرآن الأصلي كما هو شأن ترجمات الإنجيل، أما إذا سلمنا باستحالة الترجمة فذلك يعني أننا نقر ونؤيد فتاوى تحريم ترجمة القرآن الكريم التي تقول بأن الترجمة باطلة وغير شرعية، ولعل القول بأن الترجمة شبه ممكنة، أو ممكنة ضمن حدود معينة، يتوافق مع منهجية ترجمة القرآن الكريم، ولكن يجدر بنا قبل استباق النتائج أن ننظر في أدلة القائلين باستحالة الترجمة والقائلين بإمكان الترجمة لفهم ظاهرة الترجمة بشكل أوضح للوصول إلى ما يجب أن تكون عليه ترجمة النصوص الدينية بصورة عامة، وترجمة القرآن الكريم بصورة خاصة.

يعتمد الفريق الأول القائل باستحالة الترجمة على حجتين رئيستين؛ هما الاختلافات الثقافية، والاختلافات اللغوية بين الشعوب، وقد دافع عن هذه الرأي أساطين اللغويات الحديثة، أمثال ديسوسير وبلومفيلد، وأكدوا استحالة الترجمة وأنها عملية غير شرعية.

وتقوم فكرة إشكالية الاختلافات الثقافية على استقلال اللغات، إذ إن لكل لغة مفاهيم ورؤى خاصة لا تستطيع غيرها من اللغات النفاذ إليها، وقد أيّدت هذه الفكرة بعضُ

النظريات والفرضيات، نذكر منها، على سبيل المثال؛ **أولا**: النظرية الهمبولتية، لويلهم فون همبولت (Wilhelm Von Humboldt)، التي ترى أن اختلاف نظرة الشعوب إلى العالم يعود إلى اختلاف لغاتهم،[١] **ثانيا**: فرضية (النسبية اللغوية)، وتعرف أيضاً بفرضية وورف سابير (Whorf-Sapir Hypothesis)، وتؤكد هذه الفرضية أن اللغة هي التي تجعل مجتمعاً ما يتصرف ويفكر بالطريقة التي يتصرف ويفكر بها؛ لذلك فالعالم الحقيقي مبني إلى حد كبير على العادات اللغوية لمجتمع معين،[٢] ثالثا: نظرية اللاحتمية التي تؤكد استحالة الترجمة باعتبار أن عملية تحصيل المعنى غير قابلة للإدراك.

أما بالنسبة للاختلافات اللغوية التي تجعل الترجمة مستحيلة، فهي تقوم من منطلق أن لكل لغة خصائصها الفريدة التي لا تتوافر في غيرها من أصوات وألفاظ وتراكيب، وبما أن للخصائص الشكلية اللغوية أثراً في العملية الاتصالية فإن الترجمة عندما ترتبط بالوظائف العامة للغة، ويكون القصد منها تحقيق الوظيفة الجمالية والخطابية للنص، تكون عندئذ مستحيلة، ويؤكد نايدا في هذا الصدد أن: «كل ما يمكن التعبير عنه في لغة ما يمكن التعبير عنه أيضا في لغة أخرى، إلا إذا أصبح الشكل عنصراً مهما من الرسالة نفسها»،[٣] وينطبق ذلك على ترجمة الشعر الذي يصعب بل يستحيل نقل خصائصه الشكلية إلى اللغة الهدف، على الرغم من إمكان نقل ما ينضوي عليه من مفاهيم مشتركة عبر اللغات، وعليه، فإن فيرث (Firth) يصرح بأن النغم الشعري جزء من المعنى الصوتي للشعر؛ ولذلك تتعذر ترجمته إلى لغة أخرى.[٤] كما يؤكد ياكوبسون (Jakobson) على أن الشعر لا يمكن ترجمته إلا عن طريق

---

(١) نقلاً عن: مونان، جورج، المسائل النظرية في الترجمة، ترجمة: لطيف زيتونة، (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٢م)، ص١٠٦.

(2) Whorf, Benjamin Lee, **Language, Thought and Reality: Selected Writings**, (Cambridge: MIT Press, 1956), p.246-270.

(3) Nida, Eugene A. & Taber, Charles R., **The Theory and Practice of Translation**, (Leiden:E.J. Brill, 1982), p.4.

(4) Firth, J. R., **Selected Papers of J.R. Firth 1952-1959**, Frank R. Palmer (ed.), (London: Longman, 1968), p.193.

التحويل الفني (creative transpositon).[1]

أما إذا انتقلنا للفريق الثاني القائل بإمكان الترجمة بشكل مطلق، فنجد أنه يعتمد على ما يُسمى بالكليات الثقافية والكليات اللغوية، فالكليات الثقافية تقوم على مبدأ الوحدة النفسية للبشرية الذي يفسر اشتراك الشعوب المختلفة في كثير من الأنماط الثقافية، مثل الأكل والشرب والحب، على الرغم من تباعد المكان والزمان فيما بينها، وقد ساعد على إثبات هذه الكليات المشتركة كل من علم الكونيات، وعلم الأحياء، وعلم وظائف الأعضاء، وعلم النفس، وعلم الاجتماع، والأنثروبولوجيا.

أما الكليات اللغوية فهي الخصائص العامة المشتركة بين اللغات، ويؤكد أجنسكي (Aginsky) بأن التشابه بين اللغات هو الأصل، أما الخلاف فهو عارض وله أسبابه وظروفه الخاصة،[2] وجدير بالذكر أن الكليات اللغوية ليست إلا ثمرة للكليات الثقافية، فلغة أي مجتمع تعتبر مظهراً من مظاهر ثقافته، ولهذا فإنه يمكن أن نصنّف الثقافة بالطريقة نفسها التي نصنف بها اللغة؛ لأن الأشكال اللغوية لا تختلف عن الأشكال الثقافية، ولأن كلاً منها يمتلك وجوداً مادياً ومعنوياً، فالأولى تظهر في شكل علامات أو كلمات مكونة من أصوات تحمل دلالات معينة، والثانية تظهر في شكل صور مادية لها قيمة دلالية أو استجابية من قبل الجماعات،[3] وقد أكدت نظرية التواصل لجيرولد كاتز (Jerrold Katz) هذا التوجه عندما قالت بأن الأداء التواصلي يعتمد أساساً على وجودٍ مسبقٍ لخلفيةٍ مشتركةٍ بين اللغات.[4] وعلاوة على ذلك، فقد أهمت فكرة الكليات اللغوي تشومسكي (Chomsky) لوضع

(1) Jakobson, Roman, **On the Linguistic Aspects of Translation,** Andrew Chesterman (ed.), Reading in Translation Theories, (Finland: Liomaan Kirjapaino Oy, 1989), p.56.

(٢) نقلاً عن: مونان، جورج، **المسائل النظرية في الترجمة**، ص٣٠٣.

(٣) حسام الدين، كريم، **اللغة والثقافة**، (القاهرة: دار غريب، ٢٠٠١م)، ص٥٨.

(٤) كاتز، جيرولد، **التواصل اللغوي**، في: الألسنية، علم اللغة الحديث، تحرير وترجمة: زكريا ميشال، (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٢م)، ص٧٩.

قواعده التحويلية، وتطبيقها على عدد من اللغات لبيان مبادئ الربط والعمل في التراكيب اللغوية من خلال تحويل التراكيب العميقة إلى تراكيب سطحية.[١]

ويلخص محمد عجينة أهم الأسباب التي تنفي استحالة الترجمة بأن النفاذ إلى الدلالات في لغة من اللغات، لئن كان صعباً في بعض الأحيان، فإنه ليس بالمستحيل متى كان المتلقي عارفاً بسنن تلك اللغة وقوانينها، كما أن القول باستحالة الترجمة هو بوجه من الوجوه نفي لإمكانية اكتساب الإنسان لغة جديدة، بينما يشهد الواقع عكس ذلك. إضافةً إلى أن القول باستحالة الترجمة ينطوي على نفيٍ حتى لإمكانية التواصل بين المجموعة البشرية الواحدة، بينما الصحيح الثابت أن التواصل بين الناس هو أيضا نسبي، ويختلف باختلاف الطرفين وشروط التواصل وملابساته وقنواته.[٢]

ولقد أثار الفريقان السابقان جدلاً واسعاً وتناقضات شتى، فالواقع يقول بإمكان الترجمة، حيث نقلت الترجمة بالفعل – ولا تزال – أفكار الشعوب وثقافاتهم وعلومهم من لغاتهم إلى لغات أخرى، بينما تؤكد الأبحاث اللغوية استحالة الترجمة، وقد أشار مونان إلى هذه المعضلة، فقال: «لقد سادت المسلمة القائلة بوحدة الفكر الإنساني مدة طويلة، فسادت معها فكرة إمكان الترجمة أيضا بطريقة تجريبية، وبقيت نظرية استحالة الترجمة بمثابة رأي نظري، أو نوع من المفارقة التي يصعب إثباتها، ويصعب ردها في آن واحد»[٣].

وإذا أردنا أن نلخص مواطن الاختلاف بين موقف الرافضين والمؤيدين للترجمة، فإنه يظهر بصورة إجمالية أن الفريقين يختلفان في قضية تحديد المعنى، فالرافضون يقفون عند ذاتية المعنى وعدم قابليته للملاحظة الموضوعية، بينما يستند المؤيدون إلى عالمية المعنى وموضوعيته،

---

(١) انظر: تشومسكي، نعوم، **جوانب من نظرية النحو**، ترجمة: مرتضى جواد باقر، (البصرة: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ١٩٨٣م)،.

(٢) عجينة، محمود، **نظريات الترجمة**، في: الترجمة ونظرياتها، مجموعة من الأساتذة الجامعيين، (قرطاج: بيت الحكمة، ١٩٨٩م)، ص٢٧٤.

(٣) مونان، جورج، **المسائل النظرية في الترجمة**، ص٣٥٦.

لذلك كانت الترجمة مستحيلة عند نقل بعض جوانب المعنى وإيحاءاته، وممكنةً في الوقت نفسه أيضاً عند نقل جوانب أخرى من المعاني والدلالات المشتركة، وهذا يعني أن المعنى قابل للنقل والترجمة، ولكنه لا ينتقل بصورة حتمية في عملية الترجمة، بل يكون انتقاله بشكل نسبي.

وعلى ضوء ما تقدم، ظهر الفريق الثالث الذي يقول بأن الترجمة شبه ممكنة مستنداً إلى مبدأ نسبية انتقال المعنى، وقد لقي هذا الاتجاه قبولاً لدى المهتمين بنظرية الترجمة الحديثة لأنه يحاول التوفيق بين القول باستحالة الترجمة والقول بإمكانها، فالترجمة من هذا المنطلق ليست ممكنة دائماً، وليست مستحيلة دائماً، فهي لا تتحقق إلا في حدود معينة؛ لأن المعنى لا يمكن أن ينقل بصورة كامله لأسباب مختلفة ترجع مثلاً إلى الفروق اللغوية والمترجم والنص نفسه. ويرى كاتفورد (Catford) أن حُجَجَ استحالة الترجمة ينبغي أن لا تعني رفض الترجمة برمتها، وإنما تفيد بوجود حدود للترجمة حتى وإن كان من الصعب تحديدها،[1] ويؤكد مونان (Mounin) أن الترجمة عملية نسبية من حيث نجاحها، متغيرة من حيث مستويات الاتصال التي تبلغها.[2]

ويؤكد الفكر الترجمي الإسلامي هذا الاتجاه القائل بأن الترجمة لا تتحقق إلا ضمن حدود معينة، فهناك ثمة جوانب يمكن ترجمتها، وأخرى تستحيل ترجمتها، وقد تناول ابن قتيبة هذه القضية قديماً عندما رأى أن استحالة ترجمة القرآن الكريم ترجع إلى ما تنفرد به العربية من الخصائص اللغوية مثل المجاز، والتمثيل، والاستعارة، والقلب، والتقديم والتأخير، وغيرها من فنون الكلام، حيث قال: «وبكل هذه المذاهب نزل القرآن الكريم، لذلك لا يقدر أحد من الترجمات [المترجمين] على أن ينقله إلى شيء من الألسنة».[3] ورأى

(١) كاتفورد، جي. سي.، نظرية لغوية للترجمة، ترجمة: عبد الباقي صافي، (البصرة: مطبعة دار الكتب جامعة البصرة، ١٩٨٦م)، ص١٥٢.

(٢) مونان، جورج، المسائل النظرية في الترجمة، ص٣٦٣.

(٣) ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم، تأويل مشكل القرآن، (القاهرة: دار التراث، ١٩٧٣م)، ص١٥.

الجرجاني فيما بعد، أن استحالة ترجمة القرآن الكريم ترجع إلى ما يكمن في نظمه من الإعجاز، فلا يجوز نقله إلى لسان آخر لأن ذلك سيخل بالنظم،[١] وعلاوة على ذلك، فإن الشاطبي يشير إلى أن القرآن الكريم لا يمكن ترجمته إلا في حدود معينة؛ وذلك عندما قسم المعاني إلى أصلية مطلقة وتابعة خاصة، وقال بأن ترجمة القرآن الكريم لا تتحقق إلا على مستوى المعاني الأصلية المطلقة دون التابعة الخاصة؛ لأن الأخيرة مختصة بلغة معينة، ولذلك تستحيل ترجمتها.[٢]

وأخيراً، فإن نسبية الترجمة تؤكد على الدوام على أن الترجمة لا يمكن أن تُنتج نصاً مطابقاً للأصل، وهذا من شأنه أن يؤكد على أن ترجمات القرآن الكريم ستظل دائماً وأبداً في درجة دونية، ولا يمكنها بأي حال من الأحوال أن تضاهي القرآن الأصلي وتنافسه.

### ❁ الخاتمة

حاولنا فيما سبق استعراض بعض القضايا المطروحة التي تمخضت عنها دراسات الترجمة الحديثة والتي كان لها انعكاساتها على مسار ترجمة النصوص الدينية في الفكر الغربي، وقد اتضح لنا أن الاختلاف القائم حول ترجمة النص الديني بين المسلمين والغرب يعود إلى اختلاف مفهوم كلٍ من الترجمة والنص الديني بين الفكرين الإسلامي والغربي، فالنص الديني لدى الغرب، والمتمثل في الإنجيل، مبتور الصلة بأصله، وقد أدى ضياع النص الأصلي للإنجيل أن توجه مترجمي الإنجيل في ترجماتهم نحو التركيز والاهتمام باللغة الهدف؛ لأنهم وجدوا في ذلك ضمانهم الوحيد لتحقيق التواصل والفهم بين القراء المسيحيين، وبسبب ضياع الإنجيل الأصلي أصبحت جميع ترجمات الإنجيل أناجيل مقدسة، أما بالنسبة للنص الديني لدى المسلمين، والمتمثل في القرآن الكريم، فأصله موجود ومحفوظ؛ لذلك ظل القرآن الكريم واحداً لا يضاهيه نص، واعتبرت جميع ترجماته مجرد تفاسير لا تأتي إلا لغرض الشرح

(١) الجرجاني، عبد القاهر، **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، (القاهرة: مكتبة القاهرة، ١٩٦١م)، ص٦٠-٦١.

(٢) الشاطبي، إبراهيم بن موسى، **الموافقات في أصول الفقه**، (بيروت: دار المعرفة، ج٢، ١٩٩٩م)، ص٣٧٦.

## المصادر والمراجع

### المصادر والمراجع العربية:


١. ابن خلدون. **المقدمة**. (بيروت:دار الكتاب اللبناني، ١٩٦١م).

٢. ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم. **تأويل مشكل القرآن**. (القاهرة: دار التراث، ١٩٧٣م).

٣. البنداق، محمد صالح. **المستشرقون وترجمة القرآن الكريم**. (بيروت: دار الآفاق الجديدة، ١٩٨٣م).

٤. تشومسكي، نعوم. **جوانب من نظرية النحو**. ترجمة: مرتضى جواد باقر. (البصرة: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ١٩٨٣م).

٥. الجاحظ، عمرو بن بحر. **كتاب الحيوان**. (القاهرة: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ١٩٦٩م).

٦. الجرجاني، عبد القاهر. **دلائل الإعجاز في علم المعاني**. (القاهرة: مكتبة القاهرة، ١٩٦١م).

٧. الجميلي، رشيد حميد. **حركة الترجمة في المشرق الإسلامي في القرنين الثالث والرابع للهجرة**. (طرابلس: الكتاب والتوزيع والإعلان والمطابع، ١٩٨٢م).

٨. حسام الدين، كريم. **اللغة والثقافة**. (القاهرة: دار غريب، ٢٠٠١م).

٩. دريدا، جاك. **برج بابل**. في: الاختلاف في الترجمة. جوزيف جراهام. ترجمة: ماجد النجار. (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩١م).

١٠. الذهبي، محمد حسين. **التفسير والمفسرون**. (القاهرة: بدون ناشر، ١٩٧٦م).

١١. رضا، محمد رشيد. **فتوى ترجمة القرآن الكريم**. مجلة المنار. ١٩٠٨م. مجلد ١١. جزء ٤.

١٢. الزرقاني، محمد عبد العظيم. **مناهل العرفان في علوم القرآن**. (القاهرة: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ١٩٤٣م).

١٣. الزمخشري، أبو القاسم محمود. **الكشاف**. (القاهرة: مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ج٢، بدون تاريخ).

١٤. الشاطبي، إبراهيم بن موسى. **الموافقات في أصول الفقه**. (بيروت: دار المعرفة، ج٢، ١٩٩٩م).

١٥. الطبري، أبو جعفر. **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**. (مصر: طبع بولاق، ١٣٢٩هـ).

١٦. الطيباوي، عبد اللطيف. **أحكام ترجمة القرآن الكريم**. مجلة مجمع اللغة العربية. (دمشق: مجمع اللغة العربية، ١٩٧٩م). مج٥٤.

١٧. القلقشندي، أبو العباس أحمد. **صبح الأعشى**. (القاهرة: دار الكتب المصرية، ١٩٢٢م).

١٨. عبد الوهاب، أحمد. **اختلافات في تراجم الكتاب المقدس وتطورات هامة في المسيحية**. (القاهرة: مكتبة وهبة، ١٩٨٧م).

١٩. عجينة، محمود. **نظريات الترجمة**. في: الترجمة ونظرياتها. مجموعة من الأساتذة الجامعيين. (قرطاج: بيت الحكمة، ١٩٨٩م).

٢٠. العسقلاني، ابن حجر. **فتح الباري**. (بيروت : دار المعرفة، ١٣٧٩هـ).

٢١. عناني، محمد. **نظرية الترجمة الحديثة: مدخل إلى مبحث دراسات الترجمة**. (القاهرة: الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، ٢٠٠٣م).

٢٢. القطان، مناع. **مباحث في علوم القرآن**. (الرياض: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ١٩٩٦م).

٢٣. كاتز، جيرولد. **التواصل اللغوي**. في: الألسنية، علم اللغة الحديث. تحرير وترجمة: زكريا ميشال. (بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٢م).

٢٤. كاتفورد، جي. سي. **نظرية لغوية للترجمة**. ترجمة: عبد الباقي صافي. (البصرة: مطبعة دار الكتب جامعة البصرة، ١٩٨٦م).

٢٥. المراغي، محمد. **بحث في ترجمة القرآن الكريم وأحكامها**. (القاهرة: مطبعة الرغائب، ١٩٣٦م).

٢٦. مونان، جورج. **المسائل النظرية في الترجمة**. ترجمة: لطيف زيتونة. (بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٢م).

٢٧. نايدا، يوجين. **نحو علم الترجمة**. ترجمة: ماجد النجار. (بغداد: مطبوعات وزارة الإعلام، ١٩٧٦م).

٢٨. نيومارك، بيتر. **اتجاهات في الترجمة: جوانب من نظرية الترجمة**. ترجمة: محمود إسماعيل الصيني. (الرياض: دار المريخ، ١٩٨٦).

٢٩. اللاوندي، سعيد. **إشكالية ترجمة معاني القرآن الكريم**. (القاهرة: مركز الحضارة العربية، ٢٠٠١).

## ❁ المصادر والمراجع الإنجليزية والملايوية:

Ali, Abdullah Yusuf. **The Holy Qur'an**. (Kuala Lumpur: Saba Islamic Media, 2000).

Arberry, A.J.. **The Holy Koran: An Introduction with Selections**. (London: George Allen & Unwin Ltd., 1953).

Benjamin, Walter (ed.). **The Task of the Translator**. In: *The Translation Studies Reader*. Lawrence Venuti (ed.). (London: Routledge, 2000).

Binark, Ismet & Eren, Halit. **World Bibliography of Translation of the Meaning of The Holy Quran: Printed Translations 1515-1980**. (Istanbul: Research Centre For Islamic History, Art and Culture).

Bloomfield, Leonard. **Bahasa**. (Language). Alias Mahpol (trans). (Kuala Lumpur: DBP, 1993).

David, Crystal. **The Encycloprdia of Language**. (Cambridge: Cambridge University Press, 1997).

Firth, J. R., **Selected Papers of J.R. Firth 1952-1959**. Frank R. Palmer (ed.). (London: Longman, 1968).

Gentzler, Edwin. **Contemporary Translation Theories**. (Clevedon: Multilingual Matters, 1993).

Irving, T.B. **The Quran: Translation & Commentary**. (Vermont: Amana Books, 1985).

Jakobson, Roman, **On Linguistic Aspects of Translation**. Andrew Chesterman (ed.). *Reading in Translation Theories*. (Finland: Liomaan Kirjapaino Oy, 1989).

Lefevere, André. **Translation: Its Geneology In the West**. In: *Translation, History & Culture*. (London: Routledge, 1992).

Mac Callum, F. Lyman. **Turkey Discovers the Koran**. In: *The Moslem World*. vol. 23. 1933.

Muhammad Shakir. **On the Translation of the Koran into Foreign Languages**. Trans. T. W. Arnold, in: *The Moslem World*, vol. XVI, 1926.

Nida, Eugene A. & Taber, Charles R., **The Theory and Practice of Translation**, (Leiden: E.J. Brill, 1982).

Pickthall, Mohammad Marmaduke. **Holy Quran: English Translation**. (Hyderabad: The Government of H.E.H. Mir Osman Ali Khan, 1930).

Rabassa, Gregory. **No Two Snowflakes Are Alike**. In: *The Craft of Translation*. Bigunet, John & Schulte, Reiner (eds.). (Chicago: The University of Chicago Press, 1989).

Saussure, Ferdinand de. **Pengantar Linguistik Umum** (A Course in General Linguistics). Ajid Che Kob (trans.). (Kuala Lumpur: DBP, 1993).

Walls, Andrew F.. **The Translation Principle in Christian History**. In: *Bible Translation and the Spread of the Church*. Philip C. Stine (ed.). (London: E. J. Brill, 1992).

Whorf, Benjamin Lee. **Language, Thought and Reality: Selected Writings**, (Cambridge: MIT Press, 1956).